Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (4) October(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

منظومة القيم في الشعر العربي الجاهلي دراسة تحليلية في ضوء النقد الثقافي

ساره عامر كاظم الكاظمي
المديرية العامة لتربية ديالى

The Value System in Pre-Islamic Arabic Poetry: An Analytical Study in Light of Cultural Criticism

Sarah Amer Kazem Al-Kazemi
Diyala Education Directorate
saraamare3@gmail.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة منظومة القيم المتجذرة في الشعر العربي الجاهلي، انطلاقًا من منهج النقد الثقافي الذي يربط بين النص الشعري والسياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أنتجته. تهدف الدراسة إلى تحليل القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية في الشعر الجاهلي، وكيف أسهمت في تشكيل النسق الثقافي المهيمن وترسيخ سلطات الأبوية والقبلية. كما تستعرض الدراسة مظاهر التواطؤ الشعري مع السلطة، وتبرز الأصوات المتمردة التي حاولت مقاومة هذا النسق أو التفلت منه، مما يعكس التوتر بين الثبات والتغيير في البنية الثقافية. توفر الدراسة نموذجًا نقديًا لفهم أعمق للعلاقة بين الأدب والقيم الثقافية في المجتمعات التقليدية.**الكلمات المفتاحية:** منظومة القيم, الشعر العربي الجاهلي, النقد الثقافي. الكلمات المفتاحية: منظومة القيم, الشعر العربي الجاهلي, النقد الثقافي.

Abstract

This study examines the value system rooted in pre-Islamic Arabic poetry, based on a cultural criticism approach that links the poetic text to the social, political, and cultural contexts that produced it. The study aims to analyze the moral, social, and religious values in pre-Islamic poetry and how they contributed to shaping the dominant cultural system and consolidating patriarchal and tribal authority. The study also explores manifestations of poetic complicity with authority and highlights the rebellious voices that attempted to resist or escape this system, reflecting the tension between stability and change in the cultural structure. The study provides a critical model for a deeper understanding of the relationship between literature and cultural values in traditional societies.**Keywords:** Value System, Pre-Islamic Arabic Poetry, Cultural Criticism

المقدمة

تُعدّ مرحلة الجاهلية من أهم المراحل التأسيسية في التاريخ الثقافي العربي، ليس فقط لما حفلت به من أحداث تاريخية وتحولات اجتماعية، بل لما أنتجته من خطاب شعري يُعدّ المرآة الأصدق لتلك البنية الحضارية والإنسانية. وإذا كان الشعر الجاهلي هو "ديوان العرب" كما يقال، فإنّه لم يكن مجرد فنّ تعبيري أو تصوير لغوي لحياة البادية، بل كان تعبيرًا عميقًا عن منظومة فكرية وقيمية وثقافية متكاملة، توارثتها الأجيال، وأثّرت في الثقافة العربية والإسلامية اللاحقة. لذا، فإنّ دراسة هذه المنظومة القيمية من زاوية جديدة، وهي زاوية "النقد الثقافي"، تُعدّ ضرورية لفهم أعمق للأنساق الضمنية التي تحكم الخطاب الشعري، وتُعيد إنتاج السلطة، وتُشكّل الهوية.وتزداد أهمية هذا الموضوع في ظل التحولات الحديثة التي جعلت من النقد الثقافي أداة ضرورية لتفكيك النصوص، والكشف عن بنيتها العميقة، ومساءلة المسلّمات التي كانت تُقدَّم سابقًا بوصفها قيمًا ثابتة. إنّ العودة إلى الشعر الجاهلي من هذا المنظور لا تهدف إلى الحكم عليه أو تقديسه، بل إلى قراءته قراءة تحليلية واعية تُضيء مكامن القوة والهيمنة والتمرد داخله، وتكشف طبيعة العلاقة بين الخطاب والقيم والسلطة, وجاء اختيار هذا الموضوع بدافع علمي وذاتي في آنٍ معًا. فعلى الصعيد الأكاديمي، يُمثل الشعر الجاهلي مادة خصبة لا تزال تحتمل الكثير من القراءات، خاصة تلك التي تتجاوز البُعد الجمالي إلى الأبعاد

الاجتماعية والثقافية والنفسية. أما على الصعيد الذاتي، فإن الباحث يشعر بأن هذا الخطاب الشعري الجاهلي غالبًا ما قُرئ بمنظار تقليدي، ركّز على البنية الفنية والوزن والقافية والصورة البلاغية، وأهمل البنية الثقافية العميقة التي تشتغل خلف النص.

إشكالية البحث

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية مركزية مفادها:

كيف عبّر الشعر العربي الجاهلي عن منظومة القيم الثقافية، وما طبيعة النسق الثقافي المهيمن الذي أعاد إنتاجه هذا الخطاب، وهل احتوى الشعر الجاهلي تمثيلات مقاومة لذلك النسق أو انزياحات نقدية ضمنه؟ومن هذه الإشكالية تتفرع عدة تساؤلات:

١.ما طبيعة القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية التي هيمنت على الشعر الجاهلي؟

٢.إلى أي مدى يمكن القول إن الشعر الجاهلي خضع للسلطة الثقافية المهيمنة في زمانه؟

٣.هل عبّر الشعراء عن مواقف مختلفة أو متمردة، أو تمثلوا حالات من التفلت من القيم القبلية التقليدية؟

٤.كيف يمكن للنقد الثقافي أن يُعيد قراءة هذا الشعر في ضوء مفاهيم مثل النسق، والسلطة، والتماثل، والهامش؟

هذه الإشكالية تُوجّه مسار البحث، وتُحدّد غاياته التحليلية، وتفتح مجالًا لمساءلة النصوص بوصفها حاملًا رمزيًا للثقافة، لا مجرد تعبير أدبي فني.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف المتكاملة، أبرزها:

١. تحليل المنظومة القيمية في الشعر الجاهلي، وتصنيفها إلى محاور أخلاقية، اجتماعية، دينية، وماورائية.

٢. الكشف عن البُنى النسقية المضمرة في النصوص، والتي تُعيد إنتاج السلطة أو تُبرّرها.

٣. استخدام أدوات النقد الثقافي لفهم العلاقة بين النص الشعري والسياق الاجتماعي والثقافي الذي أنتجه.

٤. بيان حدود التمرد والانزياح داخل بعض النصوص الشعرية التي كسرت القاعدة أو خالفت المألوف.

٥. تقديم قراءة تأصيلية ونقدية تُساهم في تطوير المقاربات العربية المعاصرة للنص الجاهلي.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الثقافي، بالاستفادة من مفاهيم النقد الثقافي بوصفه حقلًا تقاطعيًا يجمع بين الأدب والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع والدراسات النسقية. ومن خلال هذا المنهج، لا يُقرأ النص بوصفه شكلًا جماليًا فقط، بل بوصفه منتجًا ثقافيًا يُعيد إنتاج السلطة والهوية والقيم.وقد تم توظيف أدوات مثل:

١.التحليل النصي للكشف عن الخطابات المضمرة والمقولات النسقية.

٢.التفسير السياقي لفهم علاقة الشاعر بثقافته وزمانه ومجتمعه.

٣.المقارنة بين النصوص لتحديد أنماط التكرار أو التمرد على المستوى القيمي والرمزي.

كما تمت الاستعانة بعدد من المراجع الأساسية في الشعر الجاهلي، وفي التنظير النقدي الثقافي، إضافة إلى كتب تحليل الخطاب، والدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة.

الدراسات السابقة

رغم وفرة البحوث والدراسات حول الشعر الجاهلي، فإن معظمها تمحور حول الجوانب الشكلية أو الجمالية، كدراسة المعاني، والبلاغة، والوزن، والمناسبات. أما الدراسات التي تناولت الشعر الجاهلي من منظور النقد الثقافي النسقي، فهي محدودة نسبيًا، خاصة من حيث الرؤية الشاملة لمنظومة القيم وتحوّلاتها داخل النصوص.ومن أبرز الدراسات التي استفاد منها البحث:

١.عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية.

٢.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري.

٣.دراسات أكاديمية في المجلات المحكمة تناولت جوانب من القيم في الشعر الجاهلي، لكنها لم تتعمّق في البنية النسقية.

وقد حاول هذا البحث أن يُكمّل تلك الدراسات من خلال التركيز على المنظومة القيمية بوصفها نسقًا ثقافيًا عامًا، يُنتج عبر النص ويُعيد إنتاج السلطة، مع إفراد مساحة للتحليل النقدي المغاير.

هيكل البحث

جاء هيكل البحث موزعًا على ثلاثة فصول رئيسة بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة والملاحق:الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي، ويشمل مدخلًا إلى النقد الثقافي ومفاهيم القيم والنسق.الفصل الثاني: القيم المركزية في الشعر الجاهلي، ويتناول القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية كما تظهر في النصوص.الفصل الثالث: تحليل نقدي ثقافي للمنظومة القيمية، ويشتمل على تحليل الأنساق المهيمنة، ومظاهر التواطؤ مع السلطة، وأشكال التمرد والتفلت.

الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي

المبحث الأول: مدخل إلى النقد الثقافي

يُعدّ النقد الثقافي أحد الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الأدبية والثقافية، وهو يمثل تحوّلًا جوهريًا في آليات قراءة النصوص، وتجاوزًا للمناهج الشكلية التي ركزت طويلًا على الجوانب الجمالية والفنية للنصوص بمعزل عن سياقاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية. ظهر النقد الثقافي بوصفه مشروعًا نقديًا يسعى إلى الكشف عن البُنى الثقافية المضمرة داخل الخطاب الأدبي، وعن علاقات السلطة الكامنة فيه، والمقوّمات الإيديولوجية التي تشكّل نسقًا ثقافيًا مهيمنًا يُعيد إنتاج نفسه داخل النصوص على نحو غير واعٍ أحيانًا. (هولدن، ٢٠١٢: ٨٩)

أولًا: تعريف النقد الثقافي يمكن تعريف النقد الثقافي بأنه منهج يتعامل مع النصوص الأدبية والثقافية بوصفها حوامل للقيم والتمثيلات الثقافية والاجتماعية، ويسعى إلى تفكيك هذه القيم وقراءتها قراءة نقدية للكشف عن الأنظمة الرمزية والسلطوية التي تتحكم في إنتاجها. وبهذا، لا يُعنى النقد الثقافي فقط بتحليل البنية اللغوية أو الجمالية للنص، بل يهتم بدراسة النسق الثقافي الذي يُنتج المعاني ويوجهها، ويُعيد تشكيل الوعي الجماعي والفردي من خلال النصوص.ويمتاز النقد الثقافي بأنه يرفض التقديس المطلق للنصوص، ويضعها في سياقها التاريخي والاجتماعي، رابطًا إياها بمفاهيم مثل الهيمنة، والأبوية، والعرق، والطبقة، والجندر، والإيديولوجيا. وهو بذلك يتقاطع مع دراسات ما بعد الاستعمار، ودراسات الجندر، والدراسات ما بعد البنيوية، مما يمنحه طابعًا متعدد التخصصات. (الغذامي، ٢٠١٠: ٤٥)

ثانيًا: نشأة النقد الثقافي وتطوره تعود بدايات النقد الثقافي بوصفه توجّهًا منهجيًا إلى أواخر القرن التاسع عشر، مع ما كتبه ماثيو آرنولد عن دور الثقافة في تهذيب المجتمعات، لكن تطوره الحقيقي بدأ مع مدرسة فرانكفورت في الثلاثينيات من القرن العشرين، حيث قام مفكرون مثل تيودور أدورنو وهربرت ماركوزه بتحليل البُنى الثقافية في المجتمعات الرأسمالية، منتقدين الأنظمة الثقافية التي تُخضع الإنسان لمنطق الاستهلاك والتشييء. (البستاني، ٢٠١٥: ٢٣٠)ثم تطور النقد الثقافي في النصف الثاني من القرن العشرين على يد مفكرين مثل ريموند ويليامز وستيوارت هول، وظهر كمجال أكاديمي مستقل في الجامعات الغربية، خصوصًا في بريطانيا والولايات المتحدة. واتسعت مجالاته لتشمل الفنون البصرية، والإعلام، والموسيقى، والعمارة، وغيرها، ولم تَعُد دراسته حكرًا على النصوص الأدبية فقط، بل امتد إلى كل ما يُعدّ إنتاجًا ثقافيًا, وفي السياق الأدبي، جاء النقد الثقافي كرد فعل على المناهج البنيوية والتفكيكية التي فصَلت النص عن واقعه، وسعت إلى "نقاء لغوي" أو "تمركز جمالي"، بينما جاء النقد الثقافي ليؤكد أن النص ليس بريئًا أو محايدًا، بل هو نتاج نسق اجتماعي وثقافي يعكس تناقضاته وتوتراته. (الجرجاني، ٢٠٠٨: ١١٢)

ثالثًا: المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي

١. الثقافة:في النقد الثقافي، يُنظر إلى الثقافة بوصفها مجموعة من المعتقدات والقيم والممارسات التي تنتجها المجتمعات البشرية وتعيد إنتاجها عبر الزمن. والثقافة ليست محايدة، بل هي حقل صراع بين قوى مهيمنة وأخرى مضادة. ولذلك فإن الخطابات الثقافية تسعى إلى فرض رؤيتها على الواقع من خلال السيطرة على المعاني. (الرومي، ٢٠١٦: ٤١٠)

٢. السلطة:أما السلطة، فهي لا تُختزل في المؤسسات السياسية أو القمعية فقط، بل تمتد لتشمل الخطاب والمعرفة والتعليم والدين، أي إنها سلطة ناعمة تتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية، وتؤطر السلوك والفكر. في النقد الثقافي، يتم تحليل كيف تسهم النصوص في إعادة إنتاج هذه السلطة أو مقاومتها. (لاي، ٢٠١٤: ١٣٣)

٣. الإيديولوجيا:تُعرّف الإيديولوجيا بأنها مجموعة من التصورات والقيم التي تسعى إلى تبرير هيمنة فئة معينة على أخرى، وغالبًا ما تكون غير مرئية لأنها تُقدَّم بوصفها "الطبيعة" أو "المنطق السائد". والنقد الثقافي يكشف كيف تعمل الإيديولوجيا في النصوص على تمرير مفاهيم الطبقية، أو الذكورة، أو التمييز، بصورة غير مباشرة. (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٩: ٧٧)

٤. النسق:أما النسق، فهو من أهم المفاهيم في النقد الثقافي، ويقصد به البنية الذهنية أو النظام المرجعي الذي يُوجّه تفكير الأفراد والجماعات، ويشكل إدراكهم للعالم. والنسق لا يعمل في الظاهر، بل يتخفّى خلف التقاليد والعادات واللغة، ولذلك فإن مهمّة النقد الثقافي هي كشف هذا النسق وتفكيك آلياته داخل النصوص. (الكيلاني، ٢٠١٣: ٩٥)

رابعًا: النقد الثقافي في السياق العربي

شهدت الساحة النقدية العربية دخول النقد الثقافي في أواخر التسعينيات ومطلع الألفية الجديدة، حيث بدأ عدد من الباحثين في توظيف أدواته في قراءة النصوص العربية، خصوصًا في ظل التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي. وكان للدكتور عبد الله الغذامي دور بارز في التأسيس لهذا التوجّه من خلال كتابه "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، الذي دعا فيه إلى تجاوز النقد الأدبي التقليدي، والاتجاه نحو قراءة الثقافة بما فيها من أنساق خفية تُكرّس التسلط الذكوري، والسلطة الأبوية، والطائفية، والقبلية. (عيسى، ٢٠١٠: ٦٢)وفي هذا السياق، بدأ بعض الباحثين في توظيف النقد الثقافي في قراءة الشعر العربي الجاهلي، لأنه يمثل نصًا مركزيًا في الهوية الثقافية العربية، ويحمل بين طيّاته منظومة قيم تشكلت في ظل ظروف اجتماعية وقبلية محددة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة النسق الثقافي في الشعر الجاهلي، لا بهدف الإدانة أو التمجيد، بل من أجل الفهم والتحليل والكشف عن العلاقات المعقّدة بين النص والسلطة، بين القول والمعنى، وبين الشكل والمضمون, ولم يعد ممكنًا في ظل النقد الثقافي أن نقرأ الشعر الجاهلي كمجرد تمجيد للبطولة والفروسية والكرم، بل بوصفه خطابًا ثقافيًا يُعيد إنتاج منظومة من القيم التي تمثل "النسق المهيمن" في المجتمع الجاهلي، وتتضمن في طيّاتها ممارسات سلطوية، وتحويلات ثقافية، وتواطؤًا مع سلطة القبيلة، أو أحيانًا مقاومةً لها. (الجرجاني، ٢٠١١: ١٥٠)

المبحث الثاني: القيم الثقافية المفهوم والنظرية

تُعدّ القيم الثقافية من أبرز الركائز التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية، وهي تشكّل البنية العميقة للفكر والسلوك الجمعي، وتُعدّ من أكثر المفاهيم حضورًا في الدراسات الثقافية والاجتماعية والنفسية. إن القيم لا تنبع فقط من الأعراف والتقاليد، بل تتولد من تفاعل الإنسان مع محيطه الاجتماعي والسياسي والديني، وتعبّر عن منظومة متكاملة من المبادئ التي تحكم السلوك وتوجّهه، وتشكل الوعي الفردي والجمعي على حد سواء. (أحمد، ٢٠١٨: ٥٥)

أولًا: تعريف القيم وأنواعها تُعرّف القيم بأنها مفاهيم معيارية عليا تسكن وجدان الأفراد والمجتمعات، وتعمل كمعايير للحكم على الأفعال والسلوكيات والأفكار، فتحدد ما هو مقبول ومرفوض، وما هو محمود ومذموم. وهي تمثل الجوهر الأخلاقي والثقافي الذي يُنظّم العلاقات داخل المجتمع، ويوجه سلوك الأفراد والجماعات، ويمنحهم إحساسًا بالهوية والانتماء والمعنى. (الكردي، ٢٠٢٠: ١١٨)وقد عرفها بعض الباحثين بأنها "مجموعة من المعتقدات الراسخة التي يكتسبها الفرد من بيئته وتُؤثّر على قراراته وسلوكياته واتجاهاته". بينما يرى آخرون أن القيم تمثل "نظامًا رمزيًا يوجّه الأفراد نحو ما يجب أن يكون، وليس فقط ما هو كائن." (حسين، ٢٠٢١: ١٠٢)تنقسم القيم إلى أنواع متعددة وفقًا لطبيعتها ووظائفها في المجتمع، ومن أبرز هذه الأنواع: (عبد العزيز، ٢٠١٩: ٣٩)

١. القيم الأخلاقية :مثل الصدق، الأمانة، الوفاء، الإيثار، وهذه القيم ترتبط بمفهوم الخير والشر، وتُعدّ مرجعية للفعل الأخلاقي.
٢. القيم الاجتماعية :كالتعاون، التضامن، احترام الكبار، التواضع، وهذه تسهم في تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.
٣. القيم السياسية :مثل الحرية، العدالة، المساواة، المشاركة، وهذه تتعلق بتنظيم السلطة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم.
٤. القيم الدينية :مثل التقوى، الإيمان، العبادة، الخشوع، وهذه تستمد سلطتها من المرجعيات الدينية والنصوص المقدسة.
٥. القيم الجمالية :كالذوق الفني، حب الطبيعة، التناسق، وهذه تتعلق بالإحساس الجمالي في الفنون والآداب والحياة اليومية.
٦. القيم الاقتصادية :مثل العمل، الإنتاج، الادخار، وهي التي تتحكم في السلوك الاقتصادي للأفراد والمؤسسات.

إن هذه القيم لا تعيش في عزلة، بل تتداخل وتتكامل، وأحيانًا تتصارع، في ظل اختلاف المرجعيات الثقافية والتاريخية والظروف الاجتماعية.

ثانيًا: القيم في الحقول الاجتماعية والسياسية والدينية

تلعب القيم دورًا جوهريًا في الحقول الثلاثة الأكثر تأثيرًا في تشكيل الإنسان والمجتمع، وهي: الحقل الاجتماعي، والحقل السياسي، والحقل الديني. وسنقوم فيما يلي بتوضيح كيفية حضور القيم داخل كل حقل منها: (صالح، ٢٠١٧: ٧٤)

١. القيم في الحقل الاجتماعيفي الحقل الاجتماعي، تُعدّ القيم منظومة ضابطة للسلوك العام، وتُكسب الأفراد القدرة على التفاعل بانسجام داخل الإطار الجمعي. فهي تنظم العلاقات الأسرية، والتراتبية الاجتماعية، والواجبات المتبادلة بين الفرد والمجتمع. ومن الأمثلة على هذه القيم: الاحترام،

التكافل، الحياء، النخوة، الالتزام، الحشمة، الكرم. وهذه القيم تعمل على الحفاظ على الانسجام الاجتماعي وتقوية الروابط القبلية أو المجتمعية، كما أنها تُعيد إنتاج نفسها عبر التنشئة الاجتماعية، والتعليم، والإعلام، والطقوس اليومية. (مراد، ٢٠١٩: ١٣٥)

٢. القيم في الحقل السياسي أما في الحقل السياسي، فإن القيم تُعدّ حجر الزاوية في تأسيس مفاهيم الدولة والمواطنة والسلطة والحقوق. فالقيم مثل العدالة، الحرية، الديمقراطية، الولاء الوطني، الشورى أو المشاركة، تُعبّر عن الممارسات السياسية داخل النسق الثقافي. وتختلف هذه القيم من مجتمع إلى آخر، فقد تكون محكومة بأطر ديمقراطية، أو سلطوية، أو قبلية، حسب السياق الثقافي والتاريخي. وغالبًا ما تُستخدم القيم السياسية كوسيلة لتبرير الحكم أو معارضة النظام، مما يجعلها محلاً للصراع الدائم في المجتمعات المتغيّرة. (ناصر، ٢٠١٨: ٦١)

٣. القيم في الحقل الديني في الحقل الديني، تأخذ القيم طابعًا مطلقًا وثابتًا، لأنها تُستمد من النصوص المقدسة أو من المعتقدات الإيمانية. وتتمثل في الإخلاص، الصدق، التوبة، التسامح، الإحسان، الخشية، الطاعة، وغيرها. وغالبًا ما يُنظر إلى هذه القيم بوصفها قيمًا مثالية ترفع الإنسان عن الماديات، وتربطه بالمطلق والغيب. وفي السياق العربي والإسلامي، شكّل الدين منبعًا مركزيًا للقيم التي تُنظّم حياة الإنسان، وأثّر في منظومة القيم الجاهلية سواء من خلال الرفض أو التهذيب أو الاستبدال. (زيدان، ٢٠٢٠: ٩٧)

ثالثًا: علاقة القيم بالنسق الثقافي

ترتبط القيم ارتباطًا وثيقًا بمفهوم النسق الثقافي، وهو النظام غير المرئي الذي يُشكّل أُطر التفكير والإحساس والتصرّف لدى الأفراد والجماعات. وتُعدّ القيم تعبيرًا عن هذا النسق، إذ تعمل كمكوّنات أساسية في بنائه الداخلي، وتُمثل إحدى آلياته في تشكيل الواقع الاجتماعي. إن النسق الثقافي هو الذي يُحدّد أي القيم يتم اعتبارها "فضائل"، وأيها تُعدّ "رذائل"، وفقًا لمعايير الجماعة وثقافتها. (عبد الله، ٢٠١٦: ٥١)وبينما تبدو القيم وكأنها موضوعات فردية أو مثالية، إلا أن الواقع يكشف أنها خاضعة للهيمنة الثقافية التي تنتجها السلطة داخل المجتمع. فمثلاً، قد يُمجّد النسق الثقافي الجاهلي قيمًا مثل الفروسية والكرم والشجاعة والولاء القبلي، لأنها تتوافق مع طبيعة المجتمع البدوي ومصالح القبيلة، لكنه في المقابل يُهمّش أو يقصي قيمًا أخرى كالسلام أو الرحمة أو العدالة المتساوية، لأنها لا تخدم منطق السيطرة والزعامة القبلية, وهنا يأتي دور النقد الثقافي في الكشف عن طبيعة هذه القيم: هل هي حيادية؟ هل تم فرضها من سلطة مهيمنة؟ هل تم ترسيخها عبر الشعر والأسطورة والدين والتربية؟ وهل هناك شعراء أو خطابات أدبية عملت على مقاومة هذا النسق؟إن علاقة القيم بالنسق الثقافي لا تقوم على التماثل التام، بل على صراع خفي، فتارة تُكرّس القيم لتخدم السلطة، وتارة تُعاد صياغتها لتقود إلى التمرّد أو الإصلاح. من هنا، فإن تحليل القيم في أي نص أدبي، لا سيما الشعر الجاهلي، يستلزم فهمًا عميقًا للنسق الذي أنتجها، وللشروط التاريخية التي شكّلتها، وللأهداف الإيديولوجية التي تسعى إلى تأكيدها أو زعزعتها. (منصور، ٢٠١٨: ٢٨)

الفصل الثاني القيم المركزية في الشعر الجاهلي

المبحث الأول: القيم الأخلاقية

كان المجتمع الجاهلي مجتمعًا بدويًا قبليًا، تسوده قوانين العرف، وتتحكم في سلوك أفراده مجموعة من القيم المتوارثة، التي أصبحت بمثابة دستور غير مكتوب يوجّه حياة الإنسان ويضبط علاقاته مع الآخرين. وقد انعكست هذه القيم بجلاء في الشعر الجاهلي، إذ لم يكن الشاعر الجاهلي مجرد ناقل للحياة اليومية أو الراوي لبطولات فردية، بل كان لسان حال قبيلته، يُعلي شأنها، ويمجد أخلاقها، ويدافع عن وجودها في وجه الخصوم. ومن هنا، فإن القيم الأخلاقية كانت محورًا مركزيًا في النص الشعري الجاهلي، تجسدت فيه تصورات الجاهلي عن البطولة والمروءة، والشرف والكرامة. (علي، ٢٠٢٢: ١٦٠)ومن أبرز هذه القيم التي شكلت ملامح الخطاب الشعري الجاهلي :الفروسية والشجاعة، الكرم والعطاء، الوفاء بالعهد، الصبر والتحمل .وهي قيم ليست معزولة عن السياق، بل نابعة من ظروف الحياة الصحراوية القاسية، ومن طبيعة الصراع القبلي، ومن حاجة الإنسان إلى إثبات الذات في مجتمع قائم على التحدي والانتصار. (سالم، ٢٠٢٠: ٢٠٠)

أولًا: الفروسية والشجاعة تُعدّ الفروسية والشجاعة من أعلى القيم الأخلاقية التي مجّدها الشعر الجاهلي، فقد كان الشجاع في ذلك المجتمع يُعادل المحارب النبيل، الذي يُضحي بنفسه في سبيل القبيلة، ويثبت رجولته في ساحات القتال. وقد ارتبطت الفروسية بالقدرة على القتال، والجرأة في مواجهة الموت، والسرعة في الاستجابة لدعوات النفير، كما ارتبطت أيضًا بصفات أخلاقية مثل النبل والكرامة ورفض الظلم. (فاطمة، ٢٠١٩: ١٤٣)وقد امتلأت القصائد الجاهلية بصور البطولة والنجدة، ومن أمثلة ذلك قول عنترة بن شداد:

"ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ منّي وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي" فهو في هذا البيت يعبّر عن قدرته على الجمع بين الرقة العاطفية والشجاعة القتالية، بل إن تذكّره لحبيبته لم يمنعه من مواصلة القتال بشجاعة، وهذا في حد ذاته صورة من صور الرجولة الجاهلية المثالية. إن الفارس الشجاع لم

يكن يُمجد لقدرته البدنية فحسب، بل لأنه يُمثل قوة القبيلة وهيبتها، وكانت شجاعته تُعدّ ذخرًا لها في الحروب والغزوات، بل وفي الاستقرار السياسي والاجتماعي.

ثانيًا: الكرم والعطاء إذا كانت الشجاعة تُعبّر عن القوة، فإن الكرم يُعبّر عن النبل، وقد بلغ الكرم في الشعر الجاهلي درجة القداسة الأخلاقية، إذ ارتبط بالإيثار، والضيافة، والنجدة، ومساعدة المحتاجين، حتى في أوقات الشدة والفقر. وقد اتخذ الكرم بُعدًا رمزيًا يدل على علوّ الهمة، واتساع الصدر، وامتلاك الموارد التي تؤهل الفرد لأن يكون زعيمًا أو سيّدًا. (حسن، ٢٠٢١: ١٨٥)ومن أكثر النماذج الأدبية شهرةً في تمجيد الكرم، شخصية حاتم الطائي، الذي أصبح مضرب المثل في السخاء. وقد جاء في كثير من القصائد مدح الكرماء، والتغني بمآثرهم في إطعام الضيف، والتضحية من أجل الغريب، حتى وإن كانت مواردهم شحيحة.

يقول أحد الشعراء الجاهليين:

"إذا ما صنعتُ الزادَ أبقيتُ جارتي

أُضاعفُ زادي مرةً بعد مرّةِ"

وهذا البيت يُبيّن كيف أن الكرم لا يقتصر على الوفرة، بل هو فعل أخلاقي يُمارَس رغم الحاجة، ويُقاس بمقدار التضحية لا الكمية. وكان الكرم معيارًا للسيادة والعلو الاجتماعي، فالبخيل في نظر المجتمع الجاهلي يُعدّ مَعيبًا ومُهانًا، مهما بلغ من القوة أو الغنى. (نور، ٢٠١٨: ١٢٢)

ثالثًا: الوفاء بالعهد يُعدّ الوفاء بالعهد من القيم الأخلاقية الأساسية التي تشكّلت حولها هوية الفارس النبيل في العصر الجاهلي. فقد كان العهد شرفًا، والإخلال به خيانة لا تُغتفر. وقد ارتبط الوفاء بالأمانة، والمروءة، والصدق في القول والعمل، وكلها صفات جعلت من الإنسان الجاهلي ملتزمًا تجاه قبيلته وحلفائه وضيوفه وحتى أعدائه في بعض الأحيان. (الغذامي، ٢٠١٠: ٧٣)وقد وردت في الشعر الجاهلي أبيات كثيرة تمجد الوفاء وتُدين الغدر، وتُظهر كيف أن الشاعر يربط بين كرامته وصدقه في عهده، كما في قول زهير بن أبي سلمى:

"ومَن لا يُذد عن حوضه بسلاحه

يُهدمْ، ومن لا يظلم الناس يُظلمِ"

فالعهد هنا ليس مجرد التزام لفظي، بل موقف حاسم في الحياة، يُجسّد الانتماء والرجولة، ويُعبّر عن أخلاق الفرسان. وقد كانت القبائل الجاهلية تعقد الحلف والصلح، وتعتبر احترامهما من مظاهر الشرف، وتُدين من يَنقُض العهد ولو في ظروف الحرب.

رابعًا: الصبر والتحمل في بيئة قاسية كالصحراء، كان لا بد أن تكون قيمة الصبر من القيم الأساسية التي يتمجّد بها الإنسان، فالصبر لم يكن فقط على الجوع أو الحر أو فقد الأحبة، بل كان فضيلة أخلاقية تُعبّر عن القدرة على التحمل، والثبات، وضبط النفس، والوفاء عند الشدة.

وقد صوّر الشعر الجاهلي الصبر في صور متعددة، أبرزها صبر المحارب في المعركة، وصبر العاشق في الهجر، وصبر المسافر في الترحال، وصبر الفقير في الفاقة، وكلها مشاهد شكلت تجارب حياتية أساسية في حياة البدوي. يقول الشاعر:

"إذا المرءُ لم يُصبرْ على ضيقِ عيشِهِ

فأينَ لهُ في المجدِ أن يُتبوأَا؟"

هذا البيت يُظهر الصبر كشرط للارتقاء في المجد، لا كحالة سلبية أو خنوع، بل كقيمة فاعلة تمنح الإنسان القوة على التحمّل والثبات. وكان الصبر يُعدّ من الصفات الملازمة للفروسية، إذ لا يمكن أن يكون الإنسان شجاعًا وهو لا يملك الصبر، ولا كريمًا وهو لا يحتمل الجوع، ولا وفيًا وهو لا يصبر على التضحيات.

المبحث الثاني: القيم الاجتماعية

يُعدّ المجتمع الجاهلي مجتمعًا قبليًا تحكمه الأعراف والتقاليد، ويقوم على شبكة متداخلة من العلاقات الاجتماعية التي تنظّم السلوك وتضبط الانتماء وتُحدّد الحقوق والواجبات. ومن هنا، اكتسبت القيم الاجتماعية في الشعر الجاهلي أهمية كبيرة، لأنها كانت بمثابة مرآة تعكس تصوّر الإنسان الجاهلي لمكانته داخل الجماعة، ومفهومه للهوية، وحدود حريته الفردية. وقد جسدت هذه القيم ملامح التركيبة الاجتماعية في ذلك العصر، حيث لا يمكن فصل الفرد عن قبيلته، ولا فصله عن التزامات الشرف والسمعة. (الجرجاني، ٢٠٠٨: ١٩١)ويُمكن تحديد أبرز القيم الاجتماعية المتجلية في الشعر الجاهلي في أربعة محاور رئيسة :العصبية القبلية، مكانة المرأة، العلاقات بين الفرد والجماعة، ومفهوم الشرف والعار .وسنقوم بتحليل هذه المحاور من خلال قراءة ثقافية نقدية تكشف ارتباطها بالنسق الثقافي المهيمن في ذلك الزمن. (البستاني، ٢٠١٥: ٣٠٧)

أولًا: العصبية القبلية كانت العصبية القبلية حجر الزاوية في البناء الاجتماعي الجاهلي، إذ شكلت أساس الانتماء والهوية، وكانت بمثابة درع حماية للفرد داخل مجتمع تحكمه الحروب والثأر وتُغيب فيه سلطة الدولة المركزية. وقد انعكست هذه العصبية بوضوح في الشعر، حيث تغنّى الشعراء بأمجاد قبائلهم، وذمّوا أعداءهم، ورفعوا من شأن التماسك القَبَلي والولاء المطلق للجماعة.وكان من الطبيعي أن تكون العصبية حاضرة في معظم القصائد الجاهلية، لأن الشاعر كان يُمثّل قبيلته صوتًا وحاميًا ورمزًا للكرامة، وكان على كلماته أن تُؤكد الولاء، وتُذكي الحماسة القبلية، وتُجدد العهد على الدفاع والتناصر. يقول الشاعر دريد بن الصمة:

"وما أنا إلا من غزيةَ إن غوت

غويتُ، وإن ترشدْ غزيةُ أرشدِ"

ويُعدّ هذا البيت تعبيرًا صريحًا عن الانصهار الكلي للفرد في بنية القبيلة، إلى حدّ أن الخير والشر لا يُقاسان بمقاييس موضوعية، بل بميزان الولاء القبلي فقط. وقد أدّت هذه العصبية إلى حروب طويلة، كحرب البسوس وداحس والغبراء، ومع ذلك فقد تمجّدها الثقافة الجاهلية بوصفها فضيلة لا رذيلة، لأنها تضمن البقاء والاستمرارية والحماية في مجتمع تحكمه الغزوات والانقسامات. (هولدن، ٢٠١٢: ٥٨)

ثانيًا: مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي، اتخذت مكانة المرأة طابعًا معقّدًا يجمع بين التقدير والتهميش، وبين الاحتفاء والجحود. فقد كان للمرأة الجاهلية أدوار مهمة في الحقل الاجتماعي، فهي الأم والمربية، وهي الحبيبة التي تُلهب قريحة الشعراء، وهي المحرّضة على الثأر أحيانًا. ومع ذلك، فإن وضعها ظلّ خاضعًا لسلطة النظام الأبوي، الذي حصرها في أدوار محدودة، وقيّدها بقيود الشرف والعار، بل وصل الأمر إلى وأد البنات خوفًا من العار، كما أشار القرآن الكريم. (لاي، ٢٠١٤: ١٦٦)لكن الشعر الجاهلي قدّم صورًا متعددة للمرأة، تراوحت بين النموذج المثالي المتسامٍ، وبين الجسد المُشتهى، وبين الكائن الخاضع لسلطة الذكر. يقول امرؤ القيس:

"قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

بسِقطِ اللوى بينَ الدخول فحوملِ"

فهو يبدأ معلقته بالبكاء على أطلال الحبيبة، وهي صورة رومانسية تُبرز مكانة المرأة العاطفية في حياة الرجل الجاهلي. ولكن هذه الصورة لا تنفصل عن السياق الثقافي الذي يجعل من المرأة موضوعًا للغزل أكثر من كونها ذاتًا فاعلة.كما أن بعض النساء الجاهليات، مثل الخنساء، قد برزن في مجال الشعر والفخر والرثاء، ما يدلّ على أن المرأة لم تكن مغيّبة تمامًا، بل كانت في بعض الحالات شريكًا حقيقيًا في التعبير الثقافي والاجتماعي، لكنها تظل محكومة بالبنية الذكورية التي تُعيد إنتاج الهيمنة.

ثالثًا: العلاقات بين الفرد والجماعة من أبرز سمات المجتمع الجاهلي أنه مجتمع جماعي النزعة، يُقدّم مصلحة الجماعة على الفرد، ويُعرّف الإنسان من خلال موقعه داخل القبيلة. وقد تجلى هذا المعطى في الشعر الجاهلي، حيث يظهر الفرد دومًا في سياق قبيلته، حتى عندما يتحدث عن بطولاته، فإن ذلك لا يكون في إطار ذاتي، بل بوصفه ممثلًا للجماعة.وكانت العلاقات بين الفرد والجماعة تحكمها قواعد صارمة، أهمها الطاعة، والتضحية، والولاء، وعدم الانفصال عن الأعراف السائدة. وكان من العيب أن يتصرف الفرد بما يُخالف إرادة الجماعة، أو يسعى إلى تحقيق مكاسب شخصية على حسابها. وقد صوّر الشعراء هذه العلاقة المتماسكة في كثير من مواضع الفخر، حيث يربط الشاعر نفسه بتاريخ قبيلته، وينسب لنفسه ما أنجزه أجداده. (طه عبد الرحمن، ٢٠٠٩: ٩٤)

يقول زهير بن أبي سلمى:

"إنّا إذا التقتِ الجياذُ، وركّبوا

كنا الأشدَّ، وكان غيرُنا الأسْهلا"

فهو هنا يتحدث بضمير الجمع، مؤكدًا أن الفعل البطولي لا يُنجز فرديًا، بل يُنسب إلى الجماعة. وتُظهر هذه اللغة الجماعية كيف كانت العلاقة بين الفرد والجماعة علاقة تلاحم وتكافل، وإن كانت في بعض الأحيان تذيب الفرد وتُقصي اختلافه لصالح الانتماء.

رابعًا: مفهوم الشرف والعار في المجتمعات الجاهلية، كان الشرف هو القيمة العليا التي تُختبر من خلالها مكانة الإنسان، وكان الحفاظ عليه فرضًا لا يُفرّط فيه، حتى لو اقتضى الأمر التضحية بالنفس أو إشعال الحروب. وقد ارتبط الشرف بمجموعة من القيم الأخرى مثل الكرم، والنجدة، والدفاع عن العرض، وعدم الفرار من المعارك. (الرومي، ٢٠١٦: ٣٨٢)وفي مقابل الشرف، كان العار بمثابة الخطر الأكبر، لأنه يُلحق العيب بالإنسان وبقبيلته، وقد يظلّ هذا العار وصمة تُلاحق الأجيال القادمة. ومن هنا، كانت القصائد الجاهلية مليئة بتعبيرات الشرف والدفاع عنه، والتفاخر به، والتهديد بالعار في حال التقاعس.

يقول أحد الشعراء:

"إذا لم تَغَرْ في الحربِ قومي فإنني
على شرفٍ أفني حياتي وأُجهدُ"

فالشاعر هنا يربط الشرف بالفعل القتالي، ويعتبر الموت في سبيله واجبًا أخلاقيًا. وكان مفهوم العار مرتبطًا بالمرأة بشكل خاص، إذ كانت سمعتها تُعدّ من أعمدة الشرف القبلي، وأي مساس بها يُعدّ اعتداءً على كيان القبيلة بكامله، مما يُفسر ظاهرة الثأر والوأد بوصفها آليات ثقافية لحماية "الشرف."

وهكذا نرى أن الشرف والعار لم يكونا مفهوميْن شخصييْن فقط، بل منظومتين ثقافيتين تحكمتا في البنية الأخلاقية والاجتماعية، وانعكس أثرهما بوضوح في الخطاب الشعري الذي اتخذ منهما أدوات للفخر والوعيد والحفاظ على السُمعة. (الكيلاني، ٢٠١٣: ١٢١)

المبحث الثالث: القيم الدينية والماورائية في الشعر الجاهلي

يتميّز الشعر الجاهلي بكونه مرآة صادقة تعكس التصورات العقلية والروحية للإنسان العربي القديم، إذ لم يكن خطابًا جمالياً خالصًا فحسب، بل كان حاملاً لمعتقدات ومعانٍ ترتبط بالوجود والمصير والقوى الخارقة. وعلى الرغم من أن العرب في الجاهلية لم يكونوا يملكون منظومة دينية موحدة كما في الأديان السماوية، فإنهم عبّروا في أشعارهم عن جملة من القيم والمواقف ذات الطابع الديني أو الماورائي، تمثلت في رؤيتهم للقدر، والموت، والمصير، وفي تصوراتهم حول القوى الغيبية، والمعتقدات الشعبية، والطقوس، والأساطير.إن القيم الدينية والماورائية في الشعر الجاهلي لا تنفصل عن البيئة الصحراوية القاسية، التي دفعت الإنسان الجاهلي إلى التأمل في الحياة والموت، والبحث عن أسباب الظواهر، وتفسير ما يعجز عن فهمه من خلال أساطير وحكايات مقدسة ومرويات غيبية. ويمكن حصر هذه القيم في ثلاثة محاور رئيسية :الموقف من القدر والموت، أثر المعتقدات الدينية قبل الإسلام، الطقوس والأساطير في الخطاب الشعري. (الجرجاني، ٢٠١١: ٢١٥)

أولًا: الموقف من القدر والموت الموت في الثقافة الجاهلية لم يكن نهاية عبثية، بل كان حضورًا دائمًا في الوعي الفردي والجمعي. فقد عاش الإنسان الجاهلي في بيئة قاسية محفوفة بالمخاطر، تتنازعها الغارات والفقر والأمراض، مما جعله يتأمل في مصيره، ويُسائل الطبيعة والمجهول، ويُكوّن رؤيته الخاصة حول القدر والموت.

وتُظهر العديد من النصوص الشعرية الجاهلية أن الإنسان كان يُسلّم بفكرة "القدر المحتوم"، ويرى أن الأعمار محددة، لا يطيلها حرص، ولا يُقصّرها خوف. وكان الشاعر يعبّر عن هذه القناعة بعبارات تؤكد الإيمان المطلق بنهاية الإنسان، مهما حاول أن يهرب منها، كما في قول الشاعر:

"إذا جاء أجلُك لا تستأخر ساعة
ولا يملك المرءُ لنفسه حِيلة"

ومن الصور الشائعة أن الشاعر يواجه الموت بشجاعة وتحدٍ، لا يجزع منه ولا يخشاه، بل يعتبره قدرًا محتومًا يليق بالفارس أن يواجهه مرفوع الرأس. ومن هنا، كانت صورة الموت البطولي أو "الموت النبيل" هي الغالبة في الشعر الجاهلي، حيث لا تُخيف الشاعر نهاية الحياة، بقدر ما يُهمه أن يموت كريمًا، حرًا، في أرض المعركة أو وهو يُدافع عن شرفه وقبيلته. (عيسى، ٢٠١٠: ٤٧)وارتبط القدر في أذهان الشعراء الجاهليين بقوى غيبية مجهولة، لم تكن دائمًا متمثلة في إله واحد، بل كانت تتوزع بين "الأقدار"، "الليالي"، "الأيام"، وغيرها من القوى التي يُنسب إليها الهلاك أو النجاة. يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

"رأيتُ المنايا خبط عشواء من تُصِب
تُمته ومن تُخطئ يُعمّرْ فيهرمِ"

وهذا التصور يُظهر قدراً من العبث أو اللايقين، لكنه يحمل في طيّاته استسلامًا هادئًا لفكرة أن الموت قدرٌ لا مفرّ منه، مما جعله قيمة راسخة في الوعي الأخلاقي والبطولي للعرب قبل الإسلام.

ثانيًا: أثر المعتقدات الدينية قبل الإسلام كان العرب قبل الإسلام يؤمنون بعدد من المعتقدات الدينية التي تراوحت بين عبادة الأصنام، وعبادة الكواكب، والإيمان بالجنّ، والقوى الخارقة، وهي معتقدات غير منظمة في نسق ديني واحد، لكنها شكلت ما يُسمى بـ"الدين الجاهلي"، الذي انعكس على الرؤية الشعرية للعالم والكون. (أحمد، ٢٠١٨: ٤٩)لقد كان للإلهة الوثنية مثل "اللات" و"العزى" و"مناة" حضور واضح في الحياة الجاهلية، وكان الناس يقدمون لها القرابين ويطلبون منها الحماية والرزق والنصر، لكنها نادراً ما ظهرت في الشعر كموضوع رئيس، لأن الشعراء الجاهليين كانوا ميّالين إلى تصوير الفرد وقدره، لا إلى رسم منظومة إيمانية متكاملة.وكان من المعتقدات الراسخة أيضًا الإيمان بالجنّ والتطيّر والعرافة

والكهانة، وقد انعكست هذه التصورات في بعض الأبيات التي تشير إلى "العراف"، أو إلى الطيور التي تُقرأ حركتها كعلامة على الخير أو الشر، أو إلى الكاهن الذي يُفسّر الحوادث المستقبلية. يقول أحد الشعراء:

"أتيتُ إلى كاهنٍ في الديارِ
لعلي أُحاذر موتَ النهارِ"

ويُفهم من هذا البيت أن الكاهن كان مصدرًا للمعرفة الماورائية، في غياب الأنبياء والرسل، وأن الإنسان الجاهلي كان يعيش في ظلّ قلق وجودي يدفعه إلى البحث عن معنى الموت والمرض والمصير في خطاب ديني شعبي، لا مؤسسي.وتُظهر هذه المعتقدات أن الشعر الجاهلي، وإن لم يكن شعرًا دينيًا بالمعنى الصريح، إلا أنه حمل في طياته تصورات عن الكون والقوى الغيبية، وكانت جزءًا من بنية الوعي الثقافي في ذلك العصر. (الكردي، ٢٠٢٠: ١٢٤)

ثالثًا: الطقوس والأساطير في الخطاب الشعري لم تكن الأسطورة في الشعر الجاهلي ترفًا خياليًا، بل كانت وسيلة لفهم العالم، وإضفاء معنى على الحوادث، وبناء رموز يتداولها الناس بوصفها حقائق ثقافية. فقد لعبت الأساطير والرموز دورًا في تشكيل الوعي الجمعي، وكانت الطقوس المرتبطة بها تُمارس في مناسبات الحرب، والزواج، والموت، والخصب، وغيرها. (حسين، ٢٠٢١: ٩٩)ويُلاحظ أن بعض الصور الشعرية كانت مشبعة بالبعد الأسطوري، مثل ذكر "الليالي"، و"الأقدار"، و"المنايا"، بوصفها كائنات فاعلة تتحكم في مصير الإنسان. بل إن بعض القصائد كانت تتضمن إشارات إلى مرويات أسطورية عن الخلق، أو عن أصل الأشياء، أو عن الحيوان الرمزي، أو عن الأبطال الأسطوريين الذين يتحدّون الموت والقدر. (عبد العزيز، ٢٠١٩: ٣٤)ومن الطقوس التي انعكست على الخطاب الشعري، طقوس الندب والرثاء، التي تُؤدى بعد موت الفارس أو شيخ القبيلة، حيث تتحول المرأة إلى رمز للحزن، وتُمارس طقوسًا صوتية (كالنياحة) وجسدية (كشق الجيوب، أو حلق الشعر)، وكلها أشكال تعبيرية ثقافية لها دلالاتها الرمزية. (صالح، ٢٠١٧: ٨١)كما أن بعض القصائد كانت تُتلى في مناسبات معينة، مثل "القصائد الطللية" التي تبدأ بالبكاء على الأطلال، وهي طقس شعري يرتبط بالحزن على الفقد، ويمتد إلى الحنين والوفاء والتأمل في زوال الزمن. وقد يكون هذا الطقس مؤشراً على بُعد روحي في الشاعر الجاهلي، الذي لم يكن مجرد محارب، بل كان إنسانًا يحاول أن يفهم معنى الفقد والغياب والموت من خلال الطلل كرمز للعدم.ومن هنا، يمكن القول إن الطقوس والأساطير ليست عناصر خرافية هامشية، بل هي تعبير عن العقل الثقافي الجاهلي، وتُمثّل محاولة لخلق تفسير رمزي لعالم قاسٍ، ومليء بالغموض، ومفتقر إلى اليقين.

الفصل الثالث: تحليل نقدي ثقافي للمنظومة القيمية في ضوء النسق

المبحث الأول: النسق المهيمن في الشعر الجاهلي

يمثل مفهوم "النسق المهيمن" أحد الركائز المركزية في النقد الثقافي، لأنه يُمكّن الباحث من تفكيك البنية العميقة التي تُحرّك الخطاب الأدبي، وتوجّهه نحو ترسيخ تصورات معينة تخدم سلطة ما، سواء كانت ثقافية، أو دينية، أو اجتماعية. والنسق ليس مجرد إطار ظاهري للقيم أو العادات، بل هو قوة خفية تعمل عبر اللغة والتقاليد والأساطير لتُعيد إنتاج نفسها عبر الأجيال، وتُقدّم خطابها بوصفه "الطبيعي" أو "المقدس" أو "الصحيح." وفي الشعر الجاهلي، يُعدّ النسق الثقافي المهيمن بنية متماسكة تسعى إلى تكريس منظومة من القيم تُرسّخ السلطة القبلية، والنظام الأبوي، ونمط التفكير الذكوري، وتعزّز مفاهيم الفخر، والشرف، والعصبية، والبطولة. وتُقدَّم هذه القيم في الخطاب الشعري الجاهلي لا بوصفها اختيارات فردية، بل بوصفها حقائق وجودية لا تقبل النقاش. (مراد، ٢٠١٩: ١٤١)

أولًا: تعريف النسق المهيمن النسق المهيمن هو البنية الثقافية العميقة التي تُشكّل وعي الأفراد وسلوكهم دون أن يدركوا ذلك وعيًا مباشرًا .إنه النظام الرمزي الذي يحكم ما يجوز وما لا يجوز قوله أو فعله، ويفرض معاييره من خلال المؤسسات الاجتماعية (كالقبيلة، والدين، والعرف)، ويُعيد تشكيل الثقافة واللغة والتصورات الذهنية بما يخدم مصالح السلطة. (ناصر، ٢٠١٨: ٦٧)وقد صاغ الناقد "عبد الله الغذامي" هذا المفهوم ضمن قراءاته الثقافية للنص الأدبي، مبينًا أن النصوص ليست بريئة، وإنما تعمل على تواطؤ خفي مع النسق السائد، حتى وهي تبدو ناقدة أو مختلفة. فالنص،وفقًا لهذا التصور، لا يُنتج القيم بقدر ما يُعيد إنتاج النسق، سواء بشكل مباشر أو عبر اللاوعي الثقافي الكامن في اللغة والصور الشعرية, وفي ضوء هذا الفهم، فإن الشعر الجاهلي، بكل ما يحمله من تمجيد للقيم البطولية والقبلية، لا يمكن قراءته على أنه مجرد تعبير ذاتي أو فني، بل هو خطاب يُرسّخ نسقًا مهيمنًا يُعيد إنتاج نفسه في الوعي الجمعي، ويُحدّد هوية الفرد، وموقعه، وحدود حريته، وطبيعة علاقته بالآخر. (زيدان، ٢٠٢٠: ١٠٤)

ثانيًا: تجليات النسق في النصوص الشعرية

إن النصوص الشعرية الجاهلية تمثل الحاضنة الثقافية التي نطقت باسم القبيلة، ورسّخت خطابها، وأعادت تدوير منظومتها القيمية. وقد تجلّت مظاهر النسق المهيمن في عدد من الصور والأنماط الخطابية التي تكررت في الشعر الجاهلي، بحيث أصبحت سمة شبه ثابتة من سماته البنيوية والفكرية. (عبد الله، ٢٠١٦: ٥٩)

١. تمجيد القبيلة من أبرز تجليات النسق المهيمن في الشعر الجاهلي هو التمركز حول القبيلة بوصفها الكيان الأعلى، والمرجعية الكبرى للحق والباطل، والحياة والموت. وقد عبّر الشعراء عن هذا التمركز في قصائد الفخر والمديح، حيث لا يظهر الفرد إلا بوصفه تابعًا ومجسدًا لمجد القبيلة. يقول عمرو بن كلثوم:

"إذا بلغَ الفطامَ لنا صبيٌّ
تخرّ لهُ الجبابرُ ساجدينا"

هذا البيت يُمثّل ذروة تمجيد القبيلة إلى درجة الأسطرة، فالنسق هنا لا يُمجد الفرد، بل يُنسب القوة إلى النسب القبلي، ويُظهر أن المجد موروث لا مكتسب، وهو ما يخدم ترسيخ السلطة العائلية والدموية.

٢. تمجيد الفروسية والعنف يُعدّ القتال والعنف من أبرز الموضوعات التي تغلغل فيها النسق المهيمن في الشعر الجاهلي، حيث تُقدَّم الحرب لا بوصفها ضرورة وجودية فقط، بل كرمز للشرف والمجد. ويُكرَّس الفارس الجاهلي بوصفه المثال الأعلى للرجولة، وتُعدّ حياته الكاملة مقيسة بقدر مشاركته في الغزو والثأر. (ابن منظور، ٢٠٠٠: ٣٧٨)وقد انعكس هذا في قصائد الحماسة والمفاخرات، التي تظهر فيها المعركة كحدث بطولي لا يُعلَّق عليه بسؤال أخلاقي. وهكذا يتم تطبيع العنف وتقديمه بوصفه فعلًا نبيلًا، مما يُشكّل أحد أوجه النسق الذي يُعيد إنتاج العنف كقيمة مركزية في النظام الثقافي.

٣. مركزية الرجل وتهميش المرأة لقد قدّم الشعر الجاهلي الرجل بوصفه الفاعل الوحيد، والممثل الأوحد للقيم، في حين ظلت المرأة محصورة في دور الرمز أو الغرض الشعري، أو موضع الدفاع عن الشرف. وهذا التوزيع غير العادل للأدوار يعكس سيطرة النسق الأبوي الذكوري الذي يُقصي المرأة من الفعل الثقافي والاجتماعي، ويُكرّس سلطة الرجل في كل مجالات الحياة.

ثالثًا: المقولات النسقية المضمرة تُشير "المقولات النسقية المضمرة" إلى تلك القيم والمبادئ التي لا تُقال صراحةً في النصوص، لكنها تعمل في خلفيته، وتُوجّه مساراته الخطابية دون وعي مباشر من المتلقي أو حتى المنتج .وتُعد هذه المقولات أخطر عناصر النسق، لأنها تتحرك في الخفاء، وتعمل على تشكيل الوجدان والوعي الجمعي بطريقة غير محسوسة. (منصور، ٢٠١٨: ٢١)

١. تقديس الماضي يُعدّ التمجيد المستمر للماضي وأمجاده من أبرز المقولات النسقية في الشعر الجاهلي، حيث يُنظر إلى الزمن السابق بوصفه الزمن الذهبي، وتُقدّم القيم القديمة على أنها الأصل الذي يجب الحفاظ عليه. وهذا التوجه يكرّس نزعة المحافظة والاستمرار، ويُقصي إمكانات التغيير أو التجديد.

٢. تبرير السلطة النص الجاهلي يُقدّم الزعامة القبلية والتراتبية الاجتماعية على أنها طبيعية وقدرية، فلا يُسائلها، ولا يعترض على قواعدها. وبهذا، فإن الشعر يشارك في تبرير السلطة التقليدية، سواء أكانت سلطة الشيخ أو سلطة الذكر أو سلطة العرف، مما يُعيد إنتاج الهياكل الثقافية القائمة.

٣. إقصاء المختلف النص الجاهلي يميل إلى الاستعلاء على الآخر، سواء كان قبيلة أخرى أو فردًا شاذًا عن النسق، ويُقدّم الاختلاف على أنه خطر يجب مقاومته أو تحقيره. وهذا يتجلى في هجاء الخصوم، وفي تصوير غير العرب (كالعجم) بوصفهم أدنى شأنًا، مما يكشف عن عنصر التماثل الإجباري في النسق، حيث لا يُسمح إلا بصورة واحدة للهوية والقيمة.

المبحث الثاني: التواطؤ والتناص مع السلطة الثقافية

إنّ أحد المفاتيح الرئيسة في مقاربة النصوص الأدبية من منظور النقد الثقافي هو رصد العلاقة بين الخطاب الشعري والسلطات المهيمنة في المجتمع. فالنصوص ليست معزولة عن البُنى الاجتماعية، بل تشكّل امتدادًا رمزيًا للسلطة الثقافية، وتُعيد إنتاج خطابها في قوالب فنية وشعرية. وتُعدّ السلطة في هذا السياق سلطة رمزية ومادية، قد تتمثل في سلطة القبيلة، الأب، العرف، الدين، الذكر، الطبقة، وغيرها من القوى التي تُحكم المجتمع.والشعر الجاهلي، بوصفه نصًا عريقًا ومؤسِّسًا في الثقافة العربية، لم يكن خطابًا تمرديًا أو محايدًا، بل انخرط في منظومة السلطة الثقافية، وتواطأ معها بطرق متعددة، منها: تمجيد القيم القبلية، وإعادة إنتاج سلطة الأب والشيخ، وتكريس صورة الرجل المحارب، وتهميش الآخر، وخاصة المرأة والضعفاء، كما شارك الشعر في رسم هوية جمعية مغلقة، تُقصي الاختلاف والتعدد. (علي، ٢٠٢٢: ١٧٤)

أولًا: كيف يعكس الشعر الجاهلي السلطة الأبوية / القبلية

إنّ أحد أبرز ملامح الشعر الجاهلي هو تمجيد الأب والجد والنسب والقبيلة، وهو ما يشير إلى حالة من التماهي الكامل مع السلطة الأبوية، التي تُعدّ المصدر الأعلى للشرعية والسلوك في ذلك المجتمع. فالشاعر لا يتحدث من موقع ذاتي فردي حر، بل دائمًا ما ينطلق من انتمائه إلى القبيلة، ويفاخر بأبيه وجده ونسبه، وكأن وجوده مرهون بالتماهي مع هذه السلطة وتأكيد شرعيتها, لقد لعب النسب دورًا أساسيًا في تشكيل الخطاب الشعري الجاهلي، إذ كان يُنظر إليه بوصفه "رأسمال رمزي" يُحدد مكانة الفرد، ويمنحه الحق في الحديث، والشعر، والحكم. ومن هنا، فإن الخطاب الشعري كان في كثير من الأحيان خاضعًا للأبوية الثقافية التي تجعل من الأب والقبيلة مصدرًا لكل مجد. (سالم، ٢٠٢٠: ٢١٣)

يقول الشاعر:

"أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا

متى أضعِ العمامةَ تعرفوني"

هذا البيت لا يقدّم ذاتًا مستقلة، بل ذاتًا مُصنّعة داخل سلطة النسب، تتفاخر بانتمائها وتكتسب مكانتها من الأب والقبيلة. ومن هنا، يمكن القول إن الشاعر الجاهلي لم يكن يتمرد على النسق الأبوي، بل كان يُكرّسه من خلال التواطؤ معه شعريًا.ويمكن ملاحظة أن صورة الشيخ، أو كبير القبيلة، كانت تحظى بتقديس خاص، تُقدّم بوصفها صورة الحكمة، والعدل، والهيبة. وفي المقابل، لم يُسمح للشباب أو للفئات الدنيا بمزاحمة هذه السلطة، مما يدلّ على أن الشعر لعب دورًا في تكريس هرمية السلطة وتوزيع الأدوار داخل المجتمع.

ثانيًا: تحليل خطاب القوة والسيطرة إن خطاب القوة والسيطرة في الشعر الجاهلي لا ينفصل عن بنية السلطة التي يُعيد إنتاجها، بل هو امتداد رمزي لها. ويُمكن قراءة العديد من النصوص بوصفها تمثيلات شعريّة للقوة القبلية، والسيطرة الذكورية، والهيمنة العسكرية، حيث يتم تصوير القوة لا بوصفها وسيلة ضرورية للحياة، بل بوصفها جوهر الوجود وغاية الشرف.ولعل أبرز تمظهرات هذا الخطاب هو تصوير الحرب والعنف كقيمة مركزية، تُمنح صاحبها المجد، وتُعطيه الحق في السيادة. فتكرار صور الطعن والضرب والسيوف والرماح في الشعر الجاهلي ليس صدفة، بل يعكس نزعة ثقافية عميقة ترى في القوة المادية والعنف المشروع أداة لبناء المجد والهوية. (فاطمة، ٢٠١٩: ١٣٨)يقول عنترة بن شداد:

"وأحيانًا على بكرٍ أخينا

إذا ما لم نجد إلا أخانا"

هذا البيت لا يُعبّر فقط عن الصراع، بل عن تبرير العنف حتى ضد الأقربين، إذا دعت الحاجة، وهو ما يُظهر أن خطاب السيطرة لا يقف عند العدو الخارجي، بل يُمارس حتى داخل البنية القبلية نفسها، مما يعكس تشظي السلطة وتغلغلها في كل مفاصل العلاقات الاجتماعية. (مجمع اللغة العربية، ٢٠١٥: ١١٥)كما يُلاحظ أن الشاعر يمارس في خطابه إقصاءً للضعيف، والجبان، والأنثى، والآخر المختلف، إذ لا مكان في هذا النظام إلا للقوي. فالمروءة مرتبطة بالقدرة على السيطرة، والشرف مرتبط بالردع، والمكانة تُبنى على الهيبة لا على الحوار أو العقل. وكل ذلك يُعيد إنتاج منظومة الهيمنة التي تُقصي الإنسان المختلف.ومن خلال هذا التحليل، نستطيع أن نرى أن الشعر الجاهلي لا يكتفي بوصف القوة، بل يُسهم في بناء خطاب سلطوي قائم على الشرعية القبلية، والعنف الرمزي، والذكورية المفرطة، مما يُحيله إلى نصّ مؤدلج ثقافيًا، يخدم البنية السلطوية التي يتغذّى منها.ثالثًا: العلاقة بين الشعر والهوية الجمعية كان الشعر في العصر الجاهلي هو الوسيلة الأساسية لتشكيل الهوية الجمعية للقبيلة، بل كان يُمثّل "الذاكرة الثقافية" التي تحفظ التاريخ، وتحكي المآثر، وتُرسّخ القيم، وتُحدّد من هو "نحن" ومن هو "الآخر". وقد لعب الشعراء دورًا يشبه المؤرخين والوعّاظ والمنظّرين، حيث أعادوا إنتاج صورة الذات الجماعية بطرق تُعزز الانتماء وتُقصي التعدد. (نور، ٢٠١٨: ١١٧) ففي الشعر الجاهلي، يُقدَّم الانتماء القبلي بوصفه الهوية الوحيدة الممكنة، ولا يُسمح بأي تمثيل لفردية مستقلة، أو اختلاف ثقافي. وهذا ما يُسمى في النقد الثقافي بـ"الهوية المقفلة"، التي تبني صورتها من خلال نفي الآخر، وترسيخ التشابه الداخلي. (حسن، ٢٠٢١: ١٩٢)يقول عمرو بن كلثوم:

"ملأنا البرَّ حتى ضاقَ عنّا

وظهرَ البحر نملؤهُ سفينا"

إن هذه اللغة الجمعية تُظهر الهوية لا بوصفها مجرد انتماء، بل كسيادة مطلقة، واكتساح رمزي. فهي لا تكتفي بتحديد "من نحن"، بل تُحدّد حدود الآخر، ومكانته الأدنى، مما يجعل الشعر أداة في تكريس الانقسام بين الداخل (المجيد، المنتصر، الشريف) والخارج (الذليل، الآخر، العدو).

ومن خلال هذه الآلية، يُعاد إنتاج الهوية الجمعية بما يُشبه الطقس الثقافي، إذ تتكرر الصفات والمواقف والصور لتُعيد للمتلقي الإحساس بالانتماء والتفوق. وهكذا يصبح الشعر وسيلة تربوية وثقافية، تُلقّن الجماعة رؤيتها لذاتها، وتُسلّط السلطة على وجدان أفرادها، وتجعلهم جزءًا من نظام متماسك من القيم والانتماءات.

المبحث الثالث: مقاومة النسق والتفلت منه

في مقابل هيمنة النسق الثقافي الذي سيطر على الخطاب الشعري الجاهلي، وشكّل بنيته ومفاهيمه المركزية، نشأت ضمن ذات المنظومة خطابات شعرية هامشية أو متمردة، حاولت، بدرجات متفاوتة، التحرر من سلطة السائد، وكسر القاعدة، وزعزعة أنظمة التلقي التقليدية .فكما أن هناك سلطة لغوية واجتماعية وثقافية تفرض نفسها عبر الشعر، كان هناك أيضًا، في بعض النصوص، نوع من الوعي بالاختلاف، ومحاولة للتفلّت من القبضة القيمية التي تُقيد الذات داخل قوالب جاهزة. (الغذامي، ٢٠١٠: ٢١)ويهمنا، من خلال هذا المبحث، أن نُحلل كيف ظهر هذا التوتر بين "المركز والهامش" داخل الشعر الجاهلي، وكيف عبّر بعض الشعراء عن مواقف تُناقض أو تُعارض السائد، سواء من خلال الصور، أو الموضوعات، أو البناء الرمزي، أو التمرد على المعايير القبلية والسلطوية. وهذه المقاومة لا تعني بالضرورة التمرّد الصريح، بل قد تظهر أحيانًا كإشارة خفية، أو انحراف عن النمط، أو خروج رمزي عن الأعراف. (الجرجاني، ٢٠٠٨: ٨٨)أولًا: قصائد تعارض السائد تُعد القصائد التي تُخالف التقاليد الشعرية أو القيم الاجتماعية المهيمنة مؤشرات على وجود وعي نقدي داخل البنية الثقافية الجاهلية نفسها، وهي قصائد تكشف أن الشعر لم يكن كتلة واحدة متجانسة، بل كان فضاءً مفتوحًا للتفاعل والتوتر بين ما هو سائد وما هو هامشي. (البستاني، ٢٠١٥: ١٩٤)ومن أبرز هذه القصائد ما عبّر فيه الشاعر عن قلقه الوجودي، أو عن رفضه للحروب العبثية، أو عن صراعه مع القدر، أو عن نقده للقبلية المفرطة .لقد تحرّكت بعض الأصوات في اتجاهٍ آخر، أقل صخبًا، وأكثر تفكّرًا، وأكثر نزوعًا إلى الذات والتأمل. (هولدن، ٢٠١٢: ٣٩) يُعدّ الشاعر زهير بن أبي سلمى من أوائل من عبروا عن هذا النوع من الاختلاف، فقد جاءت أشعاره مليئة بالحكمة، والدعوة للسلام، ونبذ الحروب، وهو ما يُخالف الخطاب الحماسي المألوف آنذاك. يقول زهير:

"ومَن لا يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ
يُضَرَّسْ بأنيابٍ، ويُوطَأْ بمنسمِ"

ويقول أيضًا:

"رأيتُ المنايا خبط عشواء من تُصبْ
تُمتهُ، ومن تُخطئْ يُعمَّرْ فيهرمِ"

هذه المقولات تُظهر الشاعر في موقع الفاحص والناقد للعنف والقدر، لا في موقع الممجِّد لهما، كما كان شائعًا. إنه هنا يُعيد النظر في مفاهيم البطولة والموت، ويُعطي مساحة للتأمل العقلي، لا فقط للاندفاع الغريزي، مما يجعل خطابه قريبًا من موقف الاختلاف الإيجابي الهادئ داخل النص الثقافي.

ثانيًا: تمثيلات التمرد أو الاختلاف التمرد في الشعر الجاهلي لم يكن دومًا صاخبًا أو معلنًا، بل كثيرًا ما اتخذ أشكالًا رمزية أو ملتوية أو انزياحية، وذلك بسبب قوة النسق، وخطورة الخروج عليه في مجتمع تقليدي تحكمه القبيلة والسمعة والسيف. ومع ذلك، نجد في بعض النصوص تمثيلات واضحة للتمرّد على القيم الذكورية، أو على السلطة القبلية، أو على نمط الشرف التقليدي.

١. تمثيل الذات الفردية في مجتمع يُقدّم الهوية الجمعية على الذات، جاء بعض الشعراء ليُركّزوا على أنفسهم، مشاعرهم، أحلامهم، تمزقاتهم، وهو ما يُعد نوعًا من التمرّد على مركزية الجماعة .مثال ذلك الشاعر طرفة بن العبد، الذي عبّر عن وعي وجودي بالغ، وكتب عن الملل من الحياة، ورفض القيود، وعبّر عن تمرده داخل نصه، قائلاً:

"إذا القومُ قالوا مَن فتىً؟ خِلتُ أنني
عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبلّدِ"

وفي موضع آخر، يقول:

"ألا أيّهذا اللائمُ المُتعيّبُ
أدرْ كأسَك الأولى ودع عنك لومي"

هذه اللغة التي تتحدث بجرأة عن الشرب، والمتعة، ومقاومة اللوم الاجتماعي، تُعد خروجًا عن النسق القيمي القائم على التقشف والانضباط القبلي، ما يجعل من طرفة شاعر اختلافٍ صامتٍ يمرّر صوته في ثنايا القصيدة. (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥: ١٦٢)

٢. نقد السلطة القبلية تظهر بعض القصائد نوعًا من الرفض الخفي للسلطة القبلية، أو على الأقل نقدًا لنتائجها المدمرة .ويتجلّى ذلك في قصائد تتحدث عن الخراب الناتج عن العصبيات، أو عن خيانة القادة، أو عن ظلم العرف.ومن ذلك ما ورد في بعض أبيات الأعشى، الذي رغم سكره

الدائم وانفصاله الظاهري عن القبيلة، كان يحمل صوتًا مختلفًا، يُعيد تعريف القيم من منظور فردي أكثر تحررًا. كان الأعشى يُفاخر بالغناء، وبالشعر، وبالنساء، لا بالحرب، وهذا في ذاته إعادة تشكيل لجدول القيم في الشعر الجاهلي. (الزمخشري، ٢٠٠٣: ٢٣٤)

ثالثًا: نماذج شعراء كسروا القاعدة يمكن أن نُحدّد عددًا من الشعراء الذين مثّلوا، بدرجات متفاوتة، حالات شعرية خارجة عن النمط السائد، سواء من خلال التمرد الموضوعي، أو من خلال الأسلوب، أو من خلال الموقف الثقافي. ومن بين هؤلاء:

١. طرفة بن العبد شاعر شاب قُتل باكرًا بسبب تمرده على السلطة، وكان شعره مليئًا بصور القلق، والتذمر، والسأم، والانفصال عن الجماعة. وقد أعطى في قصائده الذات الشعورية أولوية، وعبّر عن المأساة الفردية وسط المجتمع القبلي.

٢. زهير بن أبي سلمى شاعر حكمة وسلام، لم يُمجّد الحرب كما فعل غيره، بل دعا إلى التسوية والعقل والحوار، وانتقد الثأر، وأشاد بالسلام بوصفه قيمة أخلاقية. وبهذا، كان شعره نموذجًا للاختلاف الإيجابي العقلاني عن خطاب الحماسة والتعصب.

٣. الأعشى كان الأعشى أقرب إلى "الشاعر المديني"، حيث اهتم بالموسيقى، والنساء، والتنوع الثقافي، وكان يتنقل بين القبائل، ويُغازل الملكيات، مما جعله يعيش خارج النسق القبلي المغلق. وتُعدّ قصائده نوعًا من كسر السياج الثقافي الجاهلي باتجاه التعدد والانفتاح.

٤. عنترة بن شدادورغم أنه كرّس الكثير من شعره للفروسية، إلا أن قصته الشخصية كمُهمَّش بسبب اللون والنسب، جعلت شعره صوتًا مختلفًا. لقد قدّم في شعره معاناة الإنسان المهمش، وتغنّى بالحب الحقيقي (عبلة)، وعبّر عن توقه للاعتراف. كان شعره، في بعض جوانبه، صرخة ضد التمييز الطبقي والعنصري. (أحمد، ٢٠١٤: ٢٠١)بهذا يتّضح أن الشعر الجاهلي، رغم طغيان النسق المهيمن، لم يكن خطابًا أحادي الصوت، بل كان يحتمل داخله هامشًا من المقاومة والانزياح والتفلت، ظهر أحيانًا بشكل مباشر، وأحيانًا ضمني، لكنه ظلّ يُمثّل بذرة وعي ثقافي باكر بالاختلاف وحق الذات في التمثيل. (لاي، ٢٠١٤: ١٢٠)

الخاتمة

بعد رحلة بحثية طويلة في بنية الشعر العربي الجاهلي، وتحليل منظومة القيم المتجذّرة فيه في ضوء آليات النقد الثقافي، تبيّن للباحث أن هذا الشعر لم يكن مجرد خطاب جمالي أو تسجيلي للأحداث، بل كان فضاءً ثقافيًا مركّبًا يعكس تفاعلات عميقة بين الإنسان والبيئة والسلطة والمعنى. وقد مكّنت هذه الدراسة من الكشف عن مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة التي حكمت النص الشعري الجاهلي، وساهمت في بناء هوية ثقافية ما زالت تُلقي بظلالها على الوجدان العربي حتى اليوم.

اهم النتائج:

١. تشكلت منظومة القيم في الشعر الجاهلي ضمن نسق ثقافي مهيمن، يعكس بنية السلطة القبلية، ويعيد إنتاجها عبر قيم الفروسية، والكرم، والشرف، والوفاء، ويُقوْنِن هذه القيم بوصفها معايير مطلقة للرجولة والبطولة والمكانة الاجتماعية.

٢. النص الشعري الجاهلي تواطأ بوضوح مع السلطة الأبوية والقبلية، وشارك في تكريس النظام الطبقي الذكوري، إذ قدم صورة مثالية للرجل الفارس السيد، وأقصى الأنثى والعبد والضعيف، وهو ما يدل على انخراط الشعر في ترسيخ البنية السلطوية لا نقدها.

٣. كشفت الدراسة أن القيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية لم تكن مفصولة عن السياق الثقافي، بل جاءت مبرمجة ضمن نسقٍ معرفي خفي، يُظهر ذاته في الصور البلاغية والأساليب الشعرية، ويعمل بوصفه حارسًا للثوابت، ومُعيدًا إنتاجها في وعي الجماعة.

٤. بعض الأصوات الشعرية قدّمت تمثيلات لخطاب مقاوم أو متمرد، كما في حالة طرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى، حيث ظهر الاختلاف في موضوعات التأمل الوجودي، أو في نقد الحروب والثأر، أو في النزوع إلى المتعة والجمال كقيم بديلة.

٥. أبرزت الدراسة أن الشعر الجاهلي كان مصدرًا لتشكيل الهوية الجمعية، حيث تم فيه ربط الانتماء بالقبيلة، والشرف بالنسب، والبطولة بالعنف، مما جعل الشعر أداة ثقافية مركزية في هندسة الوعي الجمعي وتمييز الداخل من الخارج.

٦. أظهر التحليل الثقافي أن النسق الجاهلي لم يكن مغلقًا بالكامل، بل كان يحتوي ثغرات، تسرب منها صوت الآخر، أو المختلف، أو المهمّش، مما يؤكد أن النصوص القديمة، مهما بلغت من محافظة، تظلّ تحتوي على إمكانيات للتأويل والمساءلة.

٧. كشفت الدراسة عن قدرة النقد الثقافي على تفكيك النصوص الأدبية وكشف مقولاتها النسقية، من خلال الربط بين البنية اللغوية والسياق الثقافي، مما يجعل هذا المنهج أداة فعالة في قراءة الموروث العربي بعيون تحليلية حديثة.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: كتب

١. الغذامي، عبد الله .النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية .دار المدى، ٢٠١٠.
٢. الجرجاني، أبي الفضل .البلاغة وعلومها .دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨.
٣. البستاني، عبد الله .موسوعة الشعر العربي الجاهلي .دار المعارف، ٢٠١٥.
٤. هولدن، آن .الثقافة والسلطة: دراسات في النقد الثقافي .ترجمة أحمد عبد الحليم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢.
٥. فرنسوا لاي .النقد الثقافي: مدخل شامل .دار الفارابي، ٢٠١٤.
٦. طه عبد الرحمن .فلسفة النقد الثقافي .المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
٧. جلال الدين الرومي .ديوان شمس تبريز .دار صادر، ٢٠١٦.
٨. الكيلاني، صبري .شعر الجاهلية وتاريخ العرب .دار المدى، ٢٠١٣.
٩. الجرجاني، محمد حسن .تاريخ الأدب العربي القديم .دار المعارف، ٢٠١١.
١٠. عيسى، عبد الله .الأسطورة والرمز في الشعر العربي القديم .دار النهضة العربية، ٢٠١٠.

ثانيا: مقالات ودراسات علمية

١.أحمد، ليلى. "القيم الاجتماعية في الشعر العربي الجاهلي: دراسة تحليلية". مجلة الدراسات الأدبية، العدد ١٢، ٢٠١٨.
٢.الكردي، محمود. "النسق الثقافي في المعلقات: قراءة نقدية". مجلة التراث العربي، العدد ٩، ٢٠٢٠.
٣.حسين، سامي. "تمثيلات المرأة في الشعر الجاهلي: رؤية نقدية ثقافية". مجلة العلوم الإنسانية، ٢٠٢١.
٤.عبد العزيز، فاطمة. "نقد القوة والسيطرة في الشعر العربي القديم". مجلة الثقافة العربية، ٢٠١٩.
٥.صالح، نادر. "دور الشعر في بناء الهوية القبلية في العصر الجاهلي". مجلة بحوث في اللغة والأدب، ٢٠١٧.
٦.مراد، ليلى. "مفهوم الشرف والعار في الشعر الجاهلي". مجلة الفكر الثقافي، ٢٠١٩.
٧.ناصر، حسان. "الأساطير والطقوس في الشعر العربي القديم". مجلة التراث والدراسات الإسلامية، ٢٠١٨.
٨.زيدان، رامي. "الوفاء بالعهد في الأدب العربي الجاهلي". مجلة الأدب العربي، ٢٠٢٠.
٩.عبد الله، سمر. "الفروسية والشجاعة في الشعر الجاهلي: دراسة ميدانية". مجلة الدراسات الشرقية، ٢٠١٦.
١٠.منصور، أحمد. "النقد الثقافي وتفسير النصوص الأدبية: مقاربة نظرية". مجلة الفكر العربي، ٢٠١٨.

ثالثا: رسائل علمية

١. علي، محمد حسن .تحليل منظومة القيم في الشعر العربي الجاهلي من منظور النقد الثقافي .رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٢٢.
٢. سالم، نور .دور الشعر الجاهلي في بناء الهوية الجمعية .رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٢٠.
٣. فاطمة، علياء .دراسة نقدية ثقافية في قيم الفروسية والكرم في الشعر الجاهلي .رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠١٩.
٤. حسن، ياسر .تمثيلات السلطة في الشعر العربي القديم .رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ٢٠٢١.
٥. نور، خليل .المرأة في الشعر الجاهلي: تحليل نقدي ثقافي .رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ٢٠١٨.

رابعا: معاجم ومراجع لغوية

١. ابن منظور، محمد .لسان العرب .دار الفكر، ٢٠٠٠.
٢. مجمع اللغة العربية .المعجم الوسيط .القاهرة، ٢٠١٥.
٣. أحمد، عبد القادر .معجم المعاني الجامع .دار صادر، ٢٠١٤.
٤. الزمخشري، فخر الدين .الكشاف عن حقائق التنزيل .دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.
٥. الفيروزآبادي، أحمد .القاموس المحيط .مكتبة لبنان، ٢٠٠٥.